



هاجس المكان وسؤال الكينونة في مسرحية "البحث عن الشمس" لعز الدين جلاوي مقارنة نقدية ثقافية

ليلى أحمادي¹

**Obsession of Place and The Being Question in "Looking for the Sun"
by Izz al-Din Jalawji (Critical Cultural Approach)**

Leila Ahmadi

Abstract: This research aims to study the play of " searching for the sun" which is written by " Izz al-Din Jalawji", according to the cultural criticism data of the boarder cultural pattern. The importance of this study lies in the fact that it takes from the discourse of this play a tool for reading with a new critical pick, and with several critical trends that accompanied the post- modernity both in the field of literature and criticism. Also, it searches for cultural activity within the literary text and calls for a criticism that goes beyond the aesthetic; and it concerned with the implicit cultural pattern.

And exposing them by digging into the deep structures. This play was a cultural event with its symbolic and aesthetic construction to include a cultural pattern that reflects "Jalawji"s" view to the existence and the being through a contradictory, nested and Linguistic relations network.

Accordingly, this study will try to decode the implications of the place obsession pattern and asking about the being which is embodied in the deep structure; and as well manifested in the struggle of the Arabic men with the centered self which eliminates his being and takes his place.

Keywords: *The play of " Searching for the Sun", Izz al- Din Jalawji, cultural criticism, cultural pattern, being, place.*

¹ Specialization in theatrical criticism, affiliated with a research lab in Algerian literature and criticism, Université Echahid Hamma Lakhdar-El Oued, Algeria, ahmadi-leila@univ-eloued.dz



مقدمة:

تشهد السّاحة المعرفيّة اليوم جملة من التّحوّلات مسّت مختلف الميادين؛ فالمتأمل في المشهد الثقافي لهذا القرن يُدرك مدى تداخل المفاهيم وتشعب النظريات، بل إلغاء الحدود بين حقول المعرفة المختلفة.

وقد وضعت هذه التّحوّلات التي شهدتها السّاحة المعرفيّة اليوم العديد من العلوم، وعلى رأسها الأدب على أعتاب متغيرات جديدة، إذ أذنت بميلاد نص جديد يوظّف المعارف والوسائط الثقافيّة المتعددة، وأضحى أداة فعّالة لرصد تلك التّحوّلات وانعكاسها واضحا لنلك المتغيرات المعرفيّة.

وعلى هذا ، لم يعد التّقد الأدبي قادرا على مقارعة هذا النّص ولا استكناه خفاياه، على الرّغم من اعتباره إلى عهد قريب أداة منهجيّة لقراءة النّصوص الأدبيّة، حيث تتأتّى عن طريقه مكانة العمل الأدبي وتكتشف من خلاله جوانب الإبداع والجمال فيه، إلّا أنّه كان لزاما على الدّراسات التّقديّة مراجعة الطّرق والمناهج المتبعة، وفتح المجال لمناهج جديدة مواكبة لطبيعة المتغيرات وجملة التّحوّلات التي مسّت حقول المعرفة، وما أفضى عنها من تداخل المفاهيم وتشعب في النظريات، لاسيما ما بات يُعرف مؤخّرا بأنّجاهات ما بعد الحداثة، والتي تميزت نظرياتها بالدّعوة إلى التّحرر من قيم التّمركز، والانفتاح على الغير، والاهتمام بالمدنّس والهامش والأنوثة والجنس والغريب.

وعلى إثر ذلك بدأ الاحتفاء بتوجّه نقدي جديد يدعو إلى نقد يتجاوز الجمالية ويهتم بالأنساق الثقافيّة المضمرة خلف البناء اللّغوي أسموه بالتّقد الثقافيّ Cultural criticisme.

وهو يُعدّ من أهمّ توجّهات الفكر التّقدي الحديث والمعاصر، وما تمخّض عنه من فكرة ما بعد الحداثة ودورها المعرفي والثقافي في تجاوز التّمركز اللّغوي للمعجم النّصي إلى رموز الخطاب الثقافي وانفتاحه الّا متناهي، وهي تتجاوز



الدّال والمدلول واعتباطيته الدّوسوسريّة التي أغلقت العلامة في حدود النّسق اللّغوي، وأبعدتها عن الرّمزيّة الثقافيّة وتفاعلها الاجتماعي والثقافي العربي².

وبهذا يصبح النّص وفق منظور القراءة الثقافيّة وسيلة وأداة بغية استكشاف أنماط من مثل الأنظمة السردية، والإشكاليات الأيدولوجية وأنساق التّمثيل، وكلّ ما يمكن أن نجّده من النّص³، وبوصفه أيضًا تشكيلاً جماليًا "مكتفًا بأنظمة تعكس العديد من التّوترات والمتضادات والتّقابلات"⁴، والتي يرسّخها الصّراع الطّبقي الذي توطّره عوالم السّيّطرة، ومن أهم صورته: هاجس الوجود و السّؤال عن الانتماء المكاني، والكينونة المستلبّة.

تكمن الأهداف التي نسعى لتحقيقها من المقال هو محاولة الولوج لدراسة نقدية ما بعد حداثيّة، ومقاربتها مع النّص المسرحي الجزائري للوقوف على مدى اشتغاله وقدرته على تمثّل الدّراسة النّقديّة الثقافيّة، وكذلك مساءلة نسق هاجس المكان وسؤال الكينونة الثاوي خلف خطاب مسرحية " البحث عن

- محمد صابر، إشكالية الجمالي والثقافي، تحليل الخطاب النّقدي في كتاب التّشكيل الجمالي للخطاب الكردي الهويّة والمنتخيل،² عمان، دار غيداء، (دط)، 2016م، ص22.

Mohammed Saber, The Aesthetic and Cultural Problematic, Critical Discourse Analysis in the Formation Aesthetic Book of Kurdish Discourse Identity and Imaginary, (Oman, Dar Ghaida),(ed); 2016,p22.

-يوسف عليّمات، اللغة الشعريّة وتحولات النّسق (قراءة ثقافية في شعر أبي عينية المهلبي، مؤتمر النقد الدولي الحادي عشر - تحولات³ النّقدي المعاصر)، (الأردن، جدار الكتاب العالمي، جامعة اليرموك)، 2008م، ص1366.

Youcef Alimat, Poetic language and Pattern Transformations (A Cultural Reading in The Poetry of Abi Einayah Al-Malhi, The Eleventh International Criticism Conference - Contemporary Critical Transformations), (Jordan, Yarmouk University, The World Book Wall), 2008,p.1366.

-إيغلتون تيري، نظرية الأدب، ترجمة ثامر ديب، (دمشق، منشورات وزارة الثقافة)، (دط)، 1995م، ص178.

Eagleton Terry, Theory of Literature, Translated by Thamer Deeb, (Damascus, Publications of the Ministry of Culture), (ed.), 1995, p. 178.



الشمس" لعز الدين جلاوجي*، لعدّه من الأنساق التي لاقت رواجاً في الدّراسات الثقافية،

والكشف عن أشكال تكوّنه وتمركزه في هذه المسرحية.

توسّلنا في هذه الدّراسة بإجراءات التّقدي التّقافي كونها أكثر ملاءمة لفضح حيل " عز الدين جلاوجي"،

وكشف الأنساق الثقافية المتوارية خلف خطابه المسرحي. كما استعان البحث بمنهج أخرى، كالمناهج السّيميائي

والتّفكيكي، لما يقتضيه البحث من تفكيك البُنى العميقة، لكونها مرحلة مهمّة في هذه الدّراسة.

نحاول من خلال هذا المقال الإجابة على الإشكالية التّالية:

- ما طبيعة النّسق الذي استطاع " جلاوجي " أن يرسم من خلاله قيم الانتماء ويلخّص فكرة السؤال عن

الكيّونة والوجود خلف خطاب مسرحية" البحث عن الشّمس"؟

- ما هي أهمّ المكامن التّقافيّة التي استخدمها " جلاوجي " في خطابه المسرحي لتمير هذا النّسق تحت عباءة

لغته ونسيجها الجمالي؟

* عز الدين جلاوجي أديب وأكاديمي من مواليد 24 فيفري 1962م بعين ولمان بسطيف، صدرت له العشرات من الأعمال الإبداعية والتّقديّة، وقُدّمت عن أعماله عشرات البحوث والرّسائل الجامعية داخل الوطن وخارجه، ومن أهمّ أعماله في الرّواية : سراق الحلم والفعيعة، الفراشات والغيلان، العشق المقدّس، أما في القصة: سهيل القصة، رحلة البنات إلى النار. وفي المسرحية: البحث عن الشّمس، الفجاج الشائكة، التّخلة وسلطان المدينة، أحلام الغول الكبير. وفي الدّراسات التّقديّة: النّص المسرحي في الأدب الجزائري، المسرحية الشعرية المغاربية، المسرحية الشعرية المغاربية، قبسات مسرحية- قراءة في المشهد المسرحي. مجموعة من المؤلفين، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، (الجزائر، منشورات الحضارة)، (دط)، 2014، ج1، ص 675.

Group of authors, Encyclopedia of Algerian Scientists and Writers, (Algeria, Civilization Publications), (ed), 2014, part 1.



أولاً - المكان وكيونة الوجود:

الإنسان بفطرته كائن اجتماعي يمارس حياته داخل إطار مكاني يحفظ انتماءه ويؤمن حياته، فلا يشعر بوجوده إلا على ركحه، فيشعره بالأمان ويضمن له وجودا خاصا، إذ به يحي، فيتأثر به ويؤثر فيه، ويصور ثباته على مواصلة الحياة تحت ظلاله.

وعلى هذا، يعدّ الانتماء إلى الأرض(المكان) من أقوى أشكال تحقيق الكينونة والوجود، إذ ينشأ الأفراد في قبائلهم على علاقة وطيدة بجغرافيتهم الجبلى بمخزون تاريخهم وثقافتهم وواعيتهم الجماعية؛ فعبّر اكتشاف المكان يمكن للمرء أن يكتشف ذاته؛ لأنّ دلالة الإنسان الوجودية مرتبطة أساسا بالمكان الذي نشأت فيه⁵.

وتبعاً لذلك يبدأ الإنسان باكتشاف ذاته من خلال تعايشه اليومي مع تجارب المكان الفيزيائي، ثمّ يتنامى الشعور بالانتماء ليصبح المكان حيزاً ثقافياً يختزل الكينونة الإنسانية بكلّ ما فيها من تفاعلات وجدانية وسلوكية وقيمية⁶.

وعلى الرغم من أن ينطوي عليه هذا المكان من أشكال الألفة والانسجام، إلا أنّ الحياة أحيانا قد لا تسمح لهذه الذات التمتع بهذه الألفة والهناء التي قد يظفر بها أي إنسان في علاقاته مع المكان إذا ما تعرض للسلب؛ لأنّه أضحى يشعر بأنّه ينتسب إلى مكان يبدو غريباً عنه، فيعيش بداخله وهو يحسّ بالبوؤس وفقد لشهوة الحياة وملذاتها، ممّا يجعل فكرة استعادة الكينونة المستلبة والسؤال عن هذا المكان هاجساً مؤزّقا لديه.

⁵ - لخضر هني، اللانتمى واختراق النموذج الموصوف-مقاربة ثقافية في الشعر الجاهلي،(قطر، مجلة أنساق، جامعة قطر)، مج 1، ع2، 2017، ص40.

Lakhdar Hani, The Unbelonging and The Breakthrough of The Described Paradigm - A Cultural Approach to Pre-Islamic Poetry, (Qatar, Ansaq Magazine, Qatar University), Volume 1, title2, 2017, p40.

⁶ - المرجع نفسه، ص41.

Ibid, p.41



ولعلّ قراءتنا الفاحصة لمسرحية" البحث عن الشمس" لعز الدين جلاوحي " تُظهر هذا النوع

من التّسق المضمّر خلف تشكيلات خطابها الجمالي، وذلك بوصفه نسقا يرسم قيم الانتماء، ويلتصّ فكرة السّؤال عن الكينونة والوجود.

ثانيا- المكان بين هاجس الهيمنة وسؤال الكينونة في مسرحية " البحث عن الشمس "

تُعدّ مسرحية" البحث عن الشمس" * من الخطابات الجماليّة التي تحمل بين طيّاتها أبعادا ثقافيّة تُضمّر سؤال الذات عن كينونتها وحقيقة انتمائها الوجودي ؛ فالإنسان يحتاج إلى مكان يحفظ كرامته ووجوده، ويمكّنه من إبراز إنجازاته وقدراته في ظلّ حدوده، ولهذا نراه منذ وجوده وهو في كفاح من أجل الحفاظ عليه، من خلال اتخاذه ثقافة مضادة للآخر المهّدّد لكيانه.

ولهذا سنتوسّل بالمقاربة التّقديّة التّقافية لفضح هذا التّسق المتوسّل بالبناء الجمالي، والمتحرّك وبشكل خفي خلف تلك الصياغات اللّغوية واختياراتها التّركيبية، واستظهاره للعلن عن طريق الحفر والتنقيب في بُناها العميقة.

" بانسة كانت الحجر، جدران نخرة وسقف متهرئ، وأرضية مدبّبة، وظلمة حالكة تبتلع كلّ شيء، ورطوبة حادة تبتعث من كلّ الأنحاء، تكاد تفترس الأنفاس، حركات فئران وصرابير تعبت في أرضية الحجر، أصوات خفافيش تنتقل هنا وهناك، رياح تعصف من حين لآخر مُحدثة صغيرا جنائزيا مُرعبا"⁷.

* كُتبت هذه المسرحية عام 1989م، تدور أحداثها حول شخصية المقهور المنزوي في كهف متهرئ ويغطّ في نوم عميق ليترك على رأسه فجأة الغريب محاولا إيقاظه وإقناعه بضرورة البحث عن الشمس، فيقرّر نقر الجدار بغية فك الحصار والحصول على الشّمس. ورغم كلّ محاولات المراوغة والكبت من قبل ملك الشمس وحلفائه، إلّا أنّه بعزمته وإصراره يتمكن من تحطيم الجدار والحصول على الشّمس.

⁷ - عز الدين جلاوحي، البحث عن الشمس،(الجزائر، دار المنتهى)، (دط)، 2020م، ص16.

Izz al-Din Jalawji, Searching for The Sun, (Algeria, Dar Al-Muntaha),(ed), 2020,p.16



عبر هذا التركيب اللغوي تبدد لنا الصورة المساوية التي يمنحها " جلاوجي "

للمكان (جدران نخرة، سقف متهرئ، أرضيَّة مُدبَّبة)، والذي بدا تأثيره السّلي على حياة المقهور التي أضحت شبه معدومة وأكثر إثارة للاشمئزاز والرّعب في النفوس، وهو ما تبدد في الحضور الحيواني المهيم (ففران، صراصير، خفافيش).

ولعلّ هذا الوصف السّالب للمكان يشي في القراءة الثّقافيّة إلى أنّ هناك اضطهاداً إنسانياً محققاً، وانتهاكاً لقدسّيّة مكانه وحرمة في زمن الحاضر (تفترس، تبتلع، تكاد، تنتقل،..). فهذا التّشوّت والسّكون المكاني يخفي لا محالة تبعات نسقيّة تشي بوجود ذات متمركزة مستبدة أسهمت في القضاء على الصّورة الحضارية للمكان، وهو ما تضمه مفردة " حجرة " لما تحمله من معاني الضّيّق وعدم الاتّساع، والحصار، وهو ما يمكن عدّه مشروعاً سياسياً يشير إلى " الذات الأجنبية المتنهكة لقدسّيّة المكان وحرمة "8.

وأمام هذا الضّغط المحقّق من قبل هذه الذّات المتمركزة على المكان، أضحي الآخر المقهور يعيش حالات من الصّراع بين الوعي واللاوعي لواقعه، أدى لا محالة إلى انشغاله كياتياً ووجودياً.

" هكذا ببساطة يا مقهور، هكذا ببساطة ضيعت أحلامك؟ "

يقوم الغريب، يلزم المقهور الصّمّت لحظات كأنّما يبحث عن جوانب، ثمّ يقول بأسى:

- إنّ الذي لا يُبصر غير الظلام لا يلجأ إلاّ للنوم، وهكذا الحشرات التي فقدت حاسة البصر.

يحاول فتح عينيه الصّيقطين كأنّما يرغب في توكيد فكرته، يخطو الغريب في حيرة وقد تملكه الغضب.

8 - محمد عابد الجابري، الهوية والإسلام والغرب، (بيروت، مركز دراسة الوحدة العربية، لبنان)، ط1، 2005م، ص128.

Muhammad Abed Al-Jabri, Identity, Islam and the West, (Lebanon, Center for The Study of Arab Unity), 1st Edition, 2005, p.128.



وما إن رأيت عينك الظلام حتى استسلمت للسبب العميق"⁹.

يُبدى " جلاوجي " عبر هذا التسيخ اللغوي الجمالي تدمر الغريب من واقع المقهور، معاتباً إيّاه، بقوله: " هكذا يا مقهور ضيقت أحلامك؟"، نظراً لاستسلامه للسبب العميق والنوم.

ذلك أنّ "عالم المبصر للظلام يكون ضيقاً محدوداً لنقص خبراته في العالم الذي يعيش فيه، كما يجعله في مجال الحركة حذر ويقظ حتى لا يصدم بعقبات"¹⁰ الواقع المعاش.

ولعلّ هذا التشكيل الجمالي يُضمّر رضوخ الآخر الفلسطيني وتبعيته للذات المركزية الصهيونية، فلا ضير أنّ حالة الاستسلام التي يبدئها المقهور، والظلام الذي يبصره، يعكس "حالة الوهن من إمكانية تغيير الواقع الذي يلزم واقع الآخر الفلسطيني، فنجدّه يعاني الإحباط واليأس وعدم القدرة على تحقيق الطموحات، وتدفعه الخشية من الإخفاق في التنافس إلى الخيبة والانكسار"¹¹.

ومّا يسوغ لنا منطقيّة مثل هذه القراءة السياق الزمني الذي كُتبت فيه هذه المسرحية، وهو 1989م، والذي نجده يتزامن مع أحداث السلب التي تعرّض لها المكان العربي والانتهاكات الحقوقية المنتهكة التي عانت ويلاطمها البلاد العربية، نتيجة الانتكاسة التي تعرض لها الجيش العربي، والتي أسفرت عن احتلال القدس بشكل تام، وأعلنت على إثرها الحركة الصهيونية دولة إسرائيل في ماي 1948م.

⁹ - عز الدين جلاوجي، البحث عن الشمس، ص 21.

Izz al-Din Jalawji, Searching for The Sun, p21.

¹⁰ - حمزة مختار، سيكولوجية ذوي العاهات، (القاهرة، مؤسسة التأهيل المهني، مصر)، (دط)، 1956م، ص 35، 36.

Hamza Mukhtar, Psychology of People with Disabilities, (Cairo, Vocational Rehabilitation Institution, Egypt), (ed), 1956, p. 35, 36

¹¹ - صاحب الربيعي، سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور، (دمشق، صفحات للنشر والتوزيع، سورية)، ط 1، 2000 م، ص 77.

Sahib Al-Rubaie, The Authority of Tyranny and The Oppressed Societ, Damascus, Pages of Publishing and Distribution, Syria), 1st Edition, 2000, p. 77



ولوقع هذا الظلام على الآخر الفلسطيني جعله يلجأ إلى الاستكانة والرضوخ، وهو ما تشي به مفردة التّوم، لعدّه وسيلة لتخليصه من الظلام الذي يعيشه.

ولا ضير أن صورة الاستلاب والانتهاك المحقق تجاه الآخر الفلسطيني لازال يشكل هاجسا مؤرّقا لدى " جلاوجي"؛ فما من أمة استخفت بسفك الدماء ومارسته بشكل عملي، مثلما فعلت القوى الغربية منذ فجر قيامها، وحتىّ يومنا هذا. وهذا السّحق سواء بالأفعال كالقتل المنهجي وإبادة الأرواح، أو من خلال الامتناع عن إعطاء تلك الشّعوب المسحوقة شيء من حقوقها"¹².

ومن ثمّ يتبدّى لنا أنّ " جلاوجي" يسعى من خلال نسج هذه الصورة التّنافرية (إبصار الظّلام) إلى جعل الذات العربيّة تتدّرك هذا الوضع المأساوي، من خلال إعادة النور إلى حياتها وتبديد الظلام عن واقعها حتّى تتخلّص من الاندثار والكبت الممارس ضدها.

" هل تعرف كيف كان هذا البيت؟

يرفع المقهور رأسه للأعلى، يصمت لحظات مفكراً، قد وضع على جبهته يئنّه متحسّراً.

كان قصيرا فخما عظيما تطل عليه الشّمس، لا تطل إلاّ عليه.... ولا تغرب عنه أبدا.... وكانت حوله حدائق غنّاء وأزهار وماء وكان الناس جميعا، رغم اختلاف أجناسهم وألوانهم ومشاربهم إذا أرادوا استنشاق الهواء ، أو رؤية الشّمس جاءوا هنا، نعم هذه الحقيقة صدقني لا تظنني محبونا ولا حاملا"¹³.

¹² -عبد اللطيف بن عبد الله بن محمد الغامدي، المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الإنسان، (المملكة العربية السعودية، مركز التأصيل للدراسات والبحوث)، ط1، ، 2014م، ص438.

Abdul Latif bin Abdullah bin Mohammed Al-Ghamdi, Western Centralism and its Contradictions with Human , (kingdom of Saudi Arabia, Rooting Center for Studies and Research), 1st Edition, 2014, p.438 Rights

¹³ -عز الدين جلاوجي، البحث عن الشمس، ص17.

Izz al-Din Jalawji, Searching for The Sun ,p.17.



عبر تقنية الوصف بصور لنا " جلاوجي " سمات المكان الذي كان يقطنه المقهور في الزمن الماضي، فيمنحه بعدا جماليًا (قصرًا عظيمًا، حدائق عتّاء، أزهار وماء، تُطلُّ عليه الشّمس).

ولعله وصف يحملنا في القراءة الّثقافيّة إلى إدراك المفارقة في مكان الآخر الفلسطيني بين الحاضر والماضي، وهذا ليس غريبًا ، فالاختلاف في المكان بين الزمنين يبدو واضحًا.

وتأسيسًا على هذا ، يتبدّى لنا أن الوصف المقارن الذي منحه " جلاوجي " للمكان يشي في القراءة برفضه لهذه التّحوّلات السّالبة التي أصابته، وإنّنا نحاله يبحث عن أجوبة تفسّر له صورة هذا الدّمار الذي حلّ به، ذلك أنّ العودّة إلى الماضي وتمجيده يشير بطريقة نسقيّة إلى الانهزام في الحاضر.

" لقد كنت فاقد الوعي والحس كنت محمورا... ولما أفقت وفتحت عيني.. وجدت الظلام يضرب بجيرانه من حولي... فذبلت الأشجار والأزهار ومات كلّ هزار، وكثر الماء، وبدأ القصر يتقلّص حتّى أضحي حجرة واحدة وهي هذه التي تراها، وأخبرت بعد ذلك أنّ قوما سرقوا الشّمس وأنجّوها بها إلى الغرب، بكيت ذلك، بكيت كثيرا.. بكيت دما"¹⁴.

ولعلّ في هذا الخطاب دلالة نسقيّة يؤكّد من خلالها " جلاوجي " أنّ هذا السّلب لم يكن قدرًا بقدر ما كان بفعل ذات مركزيّة جائرة وظالمة أسهمت في تغيير ملامح الحياة، وحوّلت المكان إلى غياب مطلق (سرقوا الشمس وأنجّوها بها إلى الغرب). وهو بذلك يحاول أن يُطلّعنا على نموذج الإنسان المقهور وفعل الدوتيّة الممارس ضدّه في زمن تغلّبت فيه ثقافة الكبت والسّلب.

ومّا لا ضير فيه أنّ ما يعانيه الآخر الفلسطيني ليس أزمة عابرة، وليست مأساة سطحيّة، أو

¹⁴ - عز الدين جلاوجي، البحث عن الشّمس، ص18.



خلافاً جزئية، وإنما هي محنة تاريخية تمتد جذورها العميقة في تحوّل تاريخي وحضاري هائل وخطير، لم تكن هي طرفاً فيه، وقد نحاها عن مواقعها، ودفعها عن محور دورانها ووضعها على هامش الحضارة، إنّه وعي مأساوي قانط وحزين ينزل به إلى مستوى الهزيمة والانكفاء¹⁵.

ولا عجب في ذلك، فالمركزية الصهيونية تقوم على أساس الشّعور بالتفوق والتفاوت، مما يجعلها تفكّر في غزو الآخر الذي سيؤمّن لها المتطلبات من جهة وسيكون بمثابة السوق التي تستهلك إنتاجها من جهة أخرى¹⁶. وللأسف، فالفعل التعتيمي والكبّي قد اكتملت صورته، وهو ما تشي به الأفعال الماضية: (كنت، وجدت، بدأ، أضحى، سرقوا..)، وأضحت اللحظات الزمانية التي يعيشها الفلسطيني في الوجود شبه معدومة (كنت فاقد الوعي والحس)، ويتوق إلى الحريّة وتقرير مصيره؛ لأنّ مكان الانتماء أضحى يحدّ من حركاته.

" يواصل النّقب بحماس بعد لحظات يفتح كوة، يتسرّب منها الضّوء يهتز وهو يداعب حزمة الضّوء يحاول الإمساك بها.

الله فتحتها، فتحتها ها هي الشّمس تطلّ عليّ... أبشر يا مقهور لقد رأيت الشّمس.. بعد ما حرمت منها قرونا.

آه الحمد لله، سيعود القصر كما كان، وستنمو الأشجار والأزهار وينساب الماء ررفافاً، وتغرّد العصافير¹⁷.

¹⁵ - برهان غاليون، الوعي الذاتي، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، ط2، 1992م، ص148.

Burhan Ghalioun, Self Awareness, (Beirut, Arab Institute for Studies and Publishing), 2nd Edition, 1992, p.148

¹⁶ - عبد اللّطيف بن عبد الله بن محمد الغامدي، المركزية الغربيّة وتناقضاتها مع الإنسان، ص 213.

Abdul Latif bin Abdullah bin Mohammad Al-Ghamdi, Western Centralism and its Contradictions with Human Rights, p. 213.

¹⁷ - عز الدّين جلاوي، البحث عن الشّمس، ص 41

Izz al-Din Jalawji, Searching for The Sun, p.41.



ونتيجة لقيود المكان التي استحكمت بالآخر وما أوجدته من صور عدم الألفة والانسجام جعله في حالة صراع معه على نحو واضح (يواصل الثقب بحماس)، كما زاد من حافز تخطيه لهذا الكبت، بُغية إيجاد نسق مكاني يبدو بين أرجائه أكثر حرية وسعادة (الحمد لله، سيعود القصر كما كان وستنمو الأشجار...).

وهو تمزّد يحاول من خلاله الآخر الفلسطيني التّحرّر من قيود التّمركز الصّهيوني على المكان. وعلى الرّغم من عدّه وعيًا يتخلّله ترددًا، وهو ما يعكسه حرف التّداء "يا" المستعمل للقريب والبعيد، إلّا أنّه وعي استطاع أن يخلّص الآخر الفلسطيني من الخوف والرّضوخ الذي غرسه في عروقه المستعمر الصّهيوني.

" قلت لك، قم كفاك خمولا يا مقهور، الأرض تدور، الأفلاك تدور، الكون يدور، وأنت هنا مقبور؟ قم وإلا ابتلعتك الشّرور، قم، قم.

—قم كفاك سباتا.

ينفلت المقهور منه مرة ثانية، وينكمش على نفسه وقد أحسنّ بالبرد الشّديد قائلاً:

—دثري، دثري، ودعني أنام"18.

ولعلّ هذا التّشكيل الجمالي الذي يظهر حالة المقهور التي ألزمته التّوم تشي في القراءة الثّقافيّة باستسلام الآخر الفلسطيني للمركز الغربي دون مواجهة للحركة الصّهيونيّة التي وصفها هرتزل "فكرة استعماريّة مدينة للإمبرياليّة الغربيّة بفكرها وقوتها التي تحوّلت في الشّرق الأوسط إلى حقيقة"19.

18 - المرجع نفسه، ص 8.

Ibid, p8.

—عبد الوهاب الميسري، مقدّمة لدراسة الصّراع العربي الإمبريالي، جذوره ومآلاته ومستقبله، (دمشق، دار الفكر المعاصر، سورية)،¹⁹ ط 1، 2012، ص 106.

Abdel Wahhab Al-Maysari, An Introduction to The Study of The Arab Imperial Conflicts Roots and Future, (Damascus, Dar Al-Fikr Al-Moasr, Syria), 1st Edition, 2012, p. 106.



لهذا يمكن أن نعتبر هذا التّوم اعترافاً صريحاً من الآخر الفلسطيني بالرضوخ والاستسلام لهذه الذات المركزيّة.

وفي إطار حديثنا عن صورة الاستسلام والرضوخ في مفردة التّوم لا بدّ من الوقوف أيضاً عند الجملة التّقافيّة "دثري دثري دعني أنام"، التي تُخفي في دلالتها التّقافيّة وحيا سماويّاً مبشّراً لهذا الشّعب مفاده أنّ النّصر هو حليفه، لأنّ هذه الأرض مقدّسة، فرغم توغل الكيان الصّهيوني بآلاته الحربيّة الجبارة في أرض فلسطين، وسفكه للدّماء، ولكنّه سوف يعود خائباً مهزوماً لا محالة.

ومما يسوغ لنا منطقيّة مثل هذه القراءة ارتباط هذه الجملة وتقاطعها مع حادثة نبوّة الرّسول (صلى)، عندما نزل عليه الوحي في غار حراء عن طريق جبريل عليه السلام، حينها ذهب إلى خديجة زوجته مسرعاً وهو يرتجف قائلاً لها: "دثري يا خديجة"، التي ذهبت به إلى ورقة بن نوفل وبشره بالنبوّة، وعلمت أن محمد سيحمل رسالة نبويّة عظيمة.

ولا غرابة في أن يربط "جلالوجي" بين هذه الحادثة وما يحدث في فلسطين، ذلك أنه وجد من هذه الواقعة الدّينية مرجعيّة ثقافيّة مكنزة بالدلالات والرّموز ليؤكد من خلالها وبطريقة نسقيّة أنّ القدس كينونة فلسطينيّة عربيّة، واسترداد هذه الأرض هي رسالة سماوية بشر بها الله، وأنّ النّصر هو حليفهم.

" لا بدّ جدران الظّلام أن تنهاوى.

لا بدّ للشمس أن تشرق

المجد للشّمس.

فلتعم الكون كله.

وليخسأ الظّلام.



ولتسقط الأوهام.

ولتنتحر خفافيش القتام"²⁰.

يرى " جلاوحي " أنّ الوعي بالواقع المأزوم الذي يعيشه الفلسطيني على أرضه أضحي ضرورة، ونستشفّ هذا من خلال " لام الأمر " المستعملة في هذا الخطاب، مؤكّدا أنّ التّغيير الفعلي لهذا الواقع المأساوي للمكان، لن يتأتّى ما لم يصحبه إرادة تغيير نابغة من داخلنا.

ثالثاً - خاتمة:

في ختام هذه الدّراسة يمكننا إجمال أهمّ النتائج المتوصّلة إليها فيما يلي:

- تتمثّل المهمة المخوّلة للنقد الثقافي في الانتقال بالممارسة التّقديّة من نقد النّصوص والعناية بجمالياتها الأسلوبية إلى نسق الأنساق و المحمولات التّقافية؛ أي كفيّة تلقي التّقافة ومتابعة حيلها وموارياتها، معلنا بذلك أنّه لا يمكننا الحديث عن حقيقة النّص بمعزل عن سياقاته الخارجية وضرورة فك العزلة عن النص وسياقاته المساهمة فيه.

- تزول الفروقات بين الخطاب المؤسسي والهامشي في القراءة التّقافية، بل قد تتفوّق نصوص هامشية على نصوص نخبوية، لأنّهما يُدرسان على مستوى التّقافة المضمر، وكشف حيلها وفضح المتواري منها خلف أقنعة الجمالي.

- تعدّ مسرحية "البحث عن الشمس" لعز الدين جلاوحي خطاباً لغويّاً يعكس نظرتّه للواقع وقضاياها المتناقضة مع العالم عبر نظام نسقي معقّد ومشقّر رمزيّاً، وعلى هذا نجدّها تفرض نفسها كمنظومة ثقافية مثقلة بالمضمّر والمسكوت عنه، ممّا يستلزم على القارئ التّسلّح بالمقاربة التّقافية، لما لها من فاعلية في تفكيك البنى العميقة، وكشف ما تضمّره تلك التراكيب اللغوية من أنساق ثقافية لا تبدّى على سطح اللغة، بل تصطنع الحيل للاختباء.

- عز الدين جلاوحي، البحث عن الشمس، ص 97.

Izz al-Din Jalawji, Searching for The Sun,p.41.



- يبدو من خلال خطاب مسرحية " البحث عن الشمس " وعي "جلاوحي" بأهمية المكان والانتماء الوجودي له، من خلال قدرته على تصوير واقع المكان ومعاينة تناقضاته بشكل فني جمالي.

- يعتبر " جلاوحي " نفسه جزءا من الصراع القائم على المكان في واقعه، لذا نجده ناقدا ومتدمرا لمعاييرته الذي أفضت نتيجته تمركز الذات الصهيونية وفقد الفلسطينيين لمكانه الانتمائي. ومن ثمّ تبدّى رغبته المضمرة في إعطاء قيمة جديدة للمكان من خلال محاولة بعث فكرة السؤال عن الكينونة، والحفاظ على هوية المكان الأصلي.

- يصوّر " جلاوحي " في هذا الخطاب حالة الاغتراب الوجودي والبعد المكاني الذي يعيشه الإنسان العربي، ويلخّص معاناته في البحث عن هويته المسلوبة، والتي لا تتحقّق وجودها إلا بوجود دولة فلسطين.

Bibliography:

1. Abdel Wahhab Al-Maysari, An Introduction to The Study of The Arab Imperial Conflic Its Roots and Future,Damascus: Dar Al-Fikr Al-Moasr, 2012.
2. Abdul Latif bin Abdullah bin Mohammed Al-Ghamdi, Western Centralism and its Contradictions with Human , kingdom of Saudi Arabia: Rooting Center for Studies and Research, 2014. Rights
3. Burhan Ghalioun, Self-Awareness, Beirut: Arab Institute for Studies and Publishing, 1992.
4. Eagleton Terry, Theory of Literature, Translated by Thamer Deeb, Damascus: Publications of the Ministry of Culture., 1995.
5. group of authors, Encyclopedia of Algerian Scientists and Writers, Algeria: Civilization Publications, part 1,2014.
6. Hamza Mukhtar, Psychology of People with Disabilities, Cairo: Vocational Rehabilitation Institution, 1956.
7. Izz al-Din Jalawji, Searching for The Sun, Algeria: Dar Al-Muntaha, 2020.



8. Lakhdar Hani, *The Unbelonging and The Breakthrough of The Described Paradigm -A Cultural Approach to Pre-Islamic Poetry*, Qatar; Ansaq Magazine, Qatar University), Volume 1, title 2, 2017.
9. Muhammad Abed Al-Jabri, *Identity, Islam and the West*, Lebanon: Center for The Study of Arab Unity, 2005
10. Mohammed Saber, *The Aesthetic and Cultural Problematic, Critical Discourse Analysis in the Formation Aesthetic Book of Kurdish Discourse Identity and Imaginary*, Oman: Dar Ghaida, 2016.
11. Sahib Al-Rubaie, *The Authority of Tyranny and The Oppressed Societ*, Damascus: Pages of Publishing and Distribution, 2000.
12. Youcef Alimat, *Poetic language and Pattern Transformations (A Cultural Reading in The Poetry of Abi Einayeh Al-Malhi, The Eleventh International Criticism Conference - Contemporary Critical Transformations)*, (Jordan: Yarmouk University, The World Book Wall, 2008.